Maalim
e-ISSN: 2600-6944 | p-ISSN: 2170-0052
Volume 17 Issue 1/ Juin 2024 PP. 211-222

An analytical study of linguistic issues in Greek Philosophy: Plato and Aristotle are examples

Hichem souilah *
University of Skikda (Algeria).
h.souilah@univ-skikda.dz

DOI:10.33705/1111-017-001-016

Received: 25/02/2024
Accepted: 07/05/2024
Published: 27/06/2024

***Corresponding Author**

Citation :
souilah,H. (2024).
An analytical study of linguistic issues in Greek Philosophy:
Plato and Aristotle are exampleswriting
Maalim
I(1), 211-222

Abstract:

This study comes in the context of taking part of the fundamental concept of the philosophy of language, which stems from its call to re-read ancient philosophical texts. Specifically interested in studying language. And an attempt to approach its topics and include them within the topics of modern language philosophy. It also aims to attempt to open a scientific window into the edifice of the ancient philosophical heritage, through which we can see the most important discussions of Greek philosophers on the issue of language in its various manifestations.

The study reached a general conclusion that can be summarized in the originality of the contribution of Greek philosophy in linguistic research with various specializations, the depth of its influence, and the extension of this influence to all the civilizations that followed it into existence.

Keywords: language; Philosophy; Greece; Plato; Aristotle.

Maalim
© 2024 The Author(s).
Published by the High council of the Arabic language.
This is an open access article under the CC BY license

دراسة تحليلية لمسائل لغوية في الفلسفة اليونانية القديمة: أفلاطون وأرسطو أنموذجا

أ. هشام صويلح
جامعة سكيكدة (الجزائر).

الملخّص:

تأتي هذه الدراسة في سياق الأخذ بطرف من المفهوم التأصيلي لفلسفة اللغة، الذي ينطلق من دعوته إلى إعادة قراءة النصوص الفلسفية القديمة؛ المهتمة منها تحديدا بدراسة اللغة. ومحاولة مقاربة موضوعاتها وإدراجها ضمن مباحث فلسفة اللغة الحديثة. كما تهدف إلى محاولة فتح نافذة علمية في صرح الموروث الفلسفي القديم، نطلع من خلالها على أهم مناقشات الفلاسفة اليونانيين لمسألة اللغة في مختلف مظاهرها. وقد توصلت الدراسة إلى استنتاج عام يمكن تلخيصه في أصالة إسهام الفلسفة اليونانية في البحث اللساني بمختلف تخصصاته، وعمق تأثيرها وامتداد هذا التأثير إلى جميع الحضارات التي تلتها في الوجود.

الكلمات المفتاحيّة: اللغة؛ الفلسفة؛ اليونان؛ أفلاطون؛ أرسطو؛ تحليل.

1.مقدّمة: إن البحث عن حقيقة اللغة كظاهرة إنسانية، دفعت الفلاسفة منذ القديم إلى التساؤل عن أصل نشأتها، وعن كيفية تكونها وتعبيرها عن الفكر والواقع، وبما تتميز عن باقي أنظمة التواصل عند الكائنات الأخرى؟ وما خصائصها المنطقية والتبليغية والشعرية والخطابية؟...

ومن أجل الإجابة عن هذه التساؤلات، اتخذت الدراسة، بعض مصنفات أفلاطون وأرسطو مدونة للوصف والتحليل، والنقد كلما اقتضى الأمر ذلك، وركزت تحديدا على المصنفات المهتمة بدراسة اللغة في واحدة أو أكثر من مسائلها؛ من قبيل كتاب "كراتيليوس"، الذي خصصه أفلاطون لمحاورته الشهيرة حول مسألة أصل اللغة، وكتب "العبارة" و"الخطابة" و"فن الشعر" لأرسطو، التي تناول فيها مسائل شتى؛ منها تحديد أقسام الكلام، وعلاقة الاسم بالمسمى، وطبيعة اللغة الأدبية، والاستعارة، وغيرها. وقبل الخوض في عرض وتحليل لأهم المسائل اللغوية عند أفلاطون وأرسطو، نحاول أن نقف على موقع اللغة في التفكير الفلسفي في زمن سقراط وما قبله.

2-دراسة اللغة في اليونان قبل سقراط و أفلاطون: يقر مؤرخو الدراسات اللغوية القديمة، أن معلوماتهم عن اهتمام فلاسفة اليونان باللغة، قبل سقراط والسفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، قليلة جدا، ومتفرقة في مصادر غير ذات صلة باللغة. وأقصى ما يتوفر لديهم من معلومات، يعود إلى القرن الخامس ق.م. حينما أصبح أصحاب فن الخطابة (البلاغيون) معروفين في اليونان من خلال دراستهم الخطابة دراسة احترافية، وتعليمها للناس بأجر، وكوّنوا فرقة عُرفت باسم السفسطائيين. أما معرفتهم بتراث سقراط وتركته في دراسة اللغة، فهي معرفة غير مباشرة؛ لأن سقراط لم يترك كتابات كتبها بنفسه[1]. غير أن مناقشاته ووجهات نظره اللغوية، نشرها بعده تلميذه أفلاطون وعرفّها للفلاسفة والباحثين في محاوراته العديدة التي يبرز فيها أفلاطون آراء سقراط اللغوية تلميحا لا تصريحا. وعليه فإن فلسفة سقراط اللغوية وصلت إلينا عبر قناة ما دونه أفلاطون وبخاصة في "محاورة كراتيليوس". فما موضوع محاورة كراتيليوس؟ وما آراء سقراط المضمنة فيها؟ وما وجهة نظر أفلاطون في المسائل اللغوية التي يناقشها؟ وما أهمية ما خلفه أفلاطون في البحث الفلسفي اللغوي؟

3- قضايا اللغة عند أفلاطون من خلال محاورة كر اتيليوس «Cratyle»: يعد الفيلسوف اليوناني أفلاطون «Platon» الذي عاش ما بين (427ق.م-347ق.م) أقدم فيلسوف أخبرنا عن اهتمامات اليونانيين بمسائل اللغة وتطلعهم إلى أسرارها في كتابه "محاورة كراتيليوس"، ويظهر أن المسائل المطروحة فيه يرجع عهدها إلى القرن الخامس أو السادس قبل الميلاد[2]؛ وهو عهد اهتم فيه الفلاسفة بدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة يمكن أن تجيب عن بعض التساؤلات الفلسفية.

وتعد محاورة كراتيليوس، التي كان فيها أفلاطون متأثرا بآراء أستاذه سقراط (حوالي 470-399ق.م) واحدة من كتاباته الأولى التي مثلت الاستثناء الوحيد، بين محاوراته الكثيرة، من حيث موضوعها الرئيس؛ وهو أصل اللغة والأسماء[3]. ولأنها من أقدم الأعمال المتخصصة في مجال فلسفة اللغة، فقد اكتسبت أفضلية السبق والريادة في هذا المجال. بالإضافة إلى إشاراته اللغوية في عدة محاورات أخرى؛ ك "غورجياس Gorgias" و" السفسطائي Sophiste".

3-1- موضوع المحاورة: يتفق الباحثون على أن المسألة الرئيسية التي تدور حولها المحاورة هي أصل اللغة أو أصل الأسماء، وهو موضوع يدخل ضمن مباحث فلسفة اللغة، وقد بدأ أفلاطون محاورته بالسؤال عما إذا كانت الأسماء طبيعية النشأة أم هي صادرة عن تواطؤ الناس؟ أي هل يرجع أصل الأصوات الدالة على الأشخاص والمعاني إلى الطبيعة نفسها ولا دخل للمتكلمين في وضعها، أم يرجع إلى ما يتواضع عليه المتكلمون أنفسهم؟[4] ناقش أفلاطون في محاورته رأيين متعارضين حول أصل اللغة، وهو أقدم موضوع يثيره أفلاطون بأسلوبه الخاص الذي يحاول من خلاله عرض الآراء المتناقضة من أجل الوصول إلى الرأي الأكثر قبولا وإقناعا.

3-2- غرض المحاورة: للمحاورة غرضان؛ أحدهما مباشر والآخر غير مباشر:

1. أما المباشر فيتمثل في كيفية دراسة الأسماء والألفاظ وصواب إطلاقها على ما أُطلقت عليه من أشياء وأفعال وأشخاص بأسلوب علمي؛

2. وأما غير المباشر فيتمثل في عرضه لمسائل المحاورة من أجل الإشارة إلى نظريته في المعرفة، معرفة جوهر الأشياء وحقيقة الوجود، وذلك لارتباط مسألة أصل اللغة ونقدها بمسألة الماهية، التي تحتل موقعا مركزيا في فلسفته. فلكي تكون اللغة صائبة يجب أن تكون وسيلة تعبير عن الواقع الحقيقي؛ وسيلة لنقل الماهية[5]. وبالنظر إلى هذين الغرضين يمكن تمييز عبقرية أفلاطون الفلسفية؛ حيث لم يبد هدفه الفلسفي من هذه المحاورة إبداء مباشرا، بل ترك للقارئ الحصيف الوصول إليه دون تصريح به.

3-3- مناقشة موضوع المحاورة بين أهم شخصياتها: قدم أفلاطون مسألة أصل نشأة الأسماء، ومن ثم أصل اللغة، في شكل حوار بين ثلاثة أشخاص: كراتيلوس، وهرموجينس، وسقراط، وقد مثل كل واحد منهم موقفا معينا من المسألة؛ حيث تعبر شخصية كراتيليوس عن الرأي القائل بأن أصل الأسماء طبيعية النشأة، وتعبر شخصية هرموجينس عن الرأي القائل بالمواضعة، ويعبر سقراط عن الرأي التوفيقي الذي يجمع بين الرأيين بحكمة. وفيما يلي أقوال هذه الآراء[6].

3. يقول كراتيليوس: إن أصل الأصوات الدالة على الأشخاص والمعاني (الأسماء) طبيعية النشأة، إذ لكل شيء اسم سديد (صحيح أو صائب) الدلالة مطابق تماما لمدلوله، وليس للناس غيره سواء أكانوا يونانيين أم أعجميين.

4. ويقول هرموجينس: إنه لا مطابقة بين الاسم والمسمى إلا بالوضع (بالاتفاق). فلو سمينا رجلا باسم فهو سديد أو صائب (rectitude)، وإن سميناه باسم آخر فهو أيضا سديد، لأنه لا تسمية بالطبع بل بالاستعمال والعادة.

5. أما شخصية سقراط فتمثل الحَكم الذي تَحاكم إليه كراتيليوس وأرموجينس، وتخيل أفلاطون أنه شيخه سقراط. ولهذا الحَكم رأي ثالث هو مزيج من الرأيين مع زيادات وتنقيحات، وهو طبعا رأي أفلاطون نفسه. وسقراط هذا جد متحفظ، فهو لا يجزم بأحد القولين بل يُلَيّنهما ويشكلهما بحيث يصبحان قولا واحدا مكيفا بما أدخله عليهما من آراء جزئية، وكثيرا ما تكون هذه الآراء مما يرتئيه أفلاطون في فلسفته الخاصة به.

3-4-مباحث من المحاورة: تضمنت المحاورة مجموعة من المباحث ذات الصلة بأصل اللغة أو الأسماء ونظرية المحاكاة. وقد جمعها الدكتور عزمي إسلام وبوبها في عناوين، ثم حللها، أثناء ترجمته ودراسته لها؛ ونذكر منها: الأسماء والوجود، وظيفة الأسماء، مُطلِق الأسماء وأصل اللغة، مستخدم الأسماء، كيف يطلق المشرّع الأسماء، الصواب الطبيعي للأسماء ونظرية المحاكاة...إلخ[7]:

ونُلخّص فيما يلي مبحثيْ وظيفة الأسماء، ووضع الأسماء وأصل اللغة وظيفة الأسماء: الأسماء جزء من الكلام أو اللغة عند أفلاطون، فهو يرى أن الاسم أداة أو وسيلة لنقل المعلومات عن الأشياء وتوصيلها من فرد إلى آخر، كما أنها وسيلة لتمييز الأشياء بحسب طبائعها؛ لأن الاسم الصحيح عنده يشير إلى طبيعة الشيء الذي يسميه ويخبرنا بحقيقته، وبالتالي يميزه عن غيره من الأشياء.

3-4-1- وضع الأسماء وأصل اللغة: إن الأسماء لابد لها من واضع، وليس أي واحد تسنح له فكرة الوضع، بل واضع واحد حكيم، أو يستلهم حكمته من الفيلسوف، وعليه فكلما كان واضع الأسماء أكثر معرفة بطبيعة الأشياء وأكثر حكمة، كان وضعه للأسماء أكثر صوابا. وهكذا تتفاوت الأسماء في دلالتها على المسميات، صوابا أو خطأ، بتفاوت مهارة واضعيها. وإن الكلام عن واضع الأسماء الأول، هو كلام عن أصل اللغة وواضع نشأتها الأولى، وإذا نظرنا إلى واضعي الأسماء المحتملين نجد أننا أمام احتمالين رئيسين:

-أن يكونوا آلهة، والآلهة-كما يرى أفلاطون-"إذا كانوا يطلقون الأسماء على الأشياء فإنهم يطلقونها بصورة صحيحة"؛ لأنهم الأكثر حكمة ومعرفة بالأشياء.

-أن يكونوا بشرا، وهؤلاء متفاوتون في معرفتهم وفي حكمتهم وفي قدرتهم على إطلاق الأسماء، فالأكثر حكمة يكون أكثر قدرة، وتكون الأسماء التي يطلقها أكثر صوابا.

ويمثل هذان الاحتمالان مبدأين متباينين في الفلسفة، فيما يتعلق بأصل اللغة والأسماء؛ حيث يمثل الأول مبدأ التوقيف الإلهي، ويمثل الثاني مبدأ الوضع البشري.

وقد استمر الجدال حول هذه المسألة طيلة قرون بعد أفلاطون، فتناولها أصحاب فيثاغورس، والسفسطائيون والرواقيون، ثم كانت لها أصداء عند نحاة الرومان وشعرائهم. وجدال شبيه به عند العرب منذ أواخر القرن الثاني الهجري حول مسألة: هل اللغة إلهام وتوفيق من الله سبحانه، أم تواضع واصطلاح؟ واستمر هذا الجدال مدة طويلة بعد ذلك الزمان[8].

وعموما، لقد أدى الخلاف الحاصل حول أصل الأسماء واللغة في محاورة أفلاطون، من الناجية التاريخية، ودفاع كل فريق عن حجته ودحضه لحجة خصمه، إلى النشأة المبكرة للنظرية اللغوية، إثر تحفيز الناس على الدراسة المفصلة للغة اليونانية؛ من حيث الأصوات والألفاظ والدلالات والصيغ والتراكيب. وبفضل هذه الدراسات انطلقت بداية التحليل اللغوي الدقيق[9]، ويعد الفيلسوف المنطقي أرسطوطاليس أبرز من أبدع وأضاف في دراسته للغة اليونانية الكثير من التحليلات والاستنتاجات على ما ذكره السابقون، فقد كان له -ولايزال-بالغ الأثر في الكثير من العلوم المستحدثة، حيث أسس لمعارف لم يسبقه إليها غيره، ولذا فهو من هذه الناحية يعد مبدعا وأصيلا. وفيما يلي عينة لما قدمه في دراسة اللغة:

4- أقسام اللغة وتحليلاتها في كتابات أرسطوطاليس: أرسطو«Aristote» فيلسوف يوناني موسوعي، عاش بين (384-322ق.م)، تلميذ أفلاطون. تتناول فلسفته "جميع المعارف الإنسانية التي كانت سائدة في زمانه، وقد بلغ هو بتفكيره ذروة العبقرية البشرية، وأحاطت آراؤه بأوسع مظاهر الوجود الطبيعي والمدني"[10]، من الأخلاق والسياسة والمنطق إلى الفيزياء وعلم الأحياء والتاريخ الطبيعي واللغة وغيرها.

عرف أرسطو أعمال أفلاطون، وعلى أساس هذه الأعمال طور أفكاره الخاصة به. وربما كانت أفكار أرسطو هي الأفكار الأكثر لفتا للنظر في العالم القديم. وكما هو الشأن في تفرق أعمال أفلاطون اللغوية في محاوراته، فإن أفكار أرسطو اللغوية كذلك متناثرة في أعماله المتنوعة عن الخطابة والمنطق والشعر؛ حيث ترد في سياقات مختلفة[11]. وعلى الرغم من انطلاق أرسطو من افتراضات أفلاطون، إلا أنه تجاوزه بمراحل كثيرة وخالفه في الكثير من المسائل اللغوية، وقد لقيت تحليلات أرسطو اللغوية واستنتاجاته الكثير من القبول في الدراسات اللغوية الحديثة مقارنة بتحليلات غيره. ويمكن النظر إلى أفكار أرسطو اللغوية على أنها تطوير متميز للافتراضات التي توصل إليها أفلاطون في دراسته للظاهرة اللغوية.

إن المتصفح لكتب أرسطو على تنوع مواضيعها ومعارفها لا يعدم إشارة أرسطو إلى اللغة، وإن بطريقة غير مباشرة. ومن أهم مؤلفاته التي لها صلة بدراسة اللغة، وتركت أثرا علميا بارزا على كتابات الأجيال اللاحقة: كتاب "العبارة" وكتاب "الخطابة" وكتاب "فن الشعر". ويمكن تحديد بعض مظاهر اهتمام أرسطو باللغة في هذه المؤلفات، من خلال عرض النماذج التالية:

4-1- كتاب " العبارة ": من بين ما تضمنه هذا الكتاب وله علاقة بدراسة اللغة ما يلي:

4-1-1-تحديده لدلالتي الاسم والكلمة، وإشارته إلى أصل الأسماء: يعد أرسطو من أقدم الفلاسفة الذين رجحوا الرأي القائل بأن اللغة في نشأتها قامت على التواضع بين أفراد المجموعة الكلامية، وليست قائمة بالطبع. كما يعد من أقدم الذين وضعوا حدودا تعريفية فاصلة للاسم وللكلمة، بالاعتماد على معايير إجرائية واضحة؛ مثل معيار التجرد أو الاقتران بالزمان ومعيار الدلالة، ويتضح ذلك فيما يلي:

يقول أرسطو عن تحديده للاسم: "فالاسم هو لفظة **دالة بتواطؤ، مجردة** من الزمان، وليس واحد من أجزائها **دالا** على انفراده... "[12]. ثم يقول في تحديده للكلمة "وأما الكلمة فهي ما يدل-على ما تدل عليه-على زمان، وليس واحد من أجزائه يدل على انفراده، وهي أبدا دليلُ ما يقال على غيرها"[13].

تكلم أرسطو في هذين النصين عن دلالتي الاسم والكلمة (الفعل) باعتبارهما من أقسام الكلام (بالإضافة إلى الأقسام التي يذكرها في كتاب فن الشعر)، ويسميهما (ONOMA) و(RHÉMA). ويميزهما عن باقي الأقسام، من حيث أنهما يدلان على معنى. ويعتبر أن الفارق الأساسي بين مدلول كل من الاسم والكلمة هو الزمان[14]، فأما الاسم فمجرد منه وأما الكلمة فمقترنة به. ويوضح ابن رشد في تلخيصه لكتاب فن الشعر هذا المعنى بقوله: "وبكون الكلمة دالة على زمان المعنى تفارق الاسم، فإن الإنسان والأبيض ليس يدلان على الزمان، وأما مشى ويمشي فيدلان على الزمان الماضي والحاضر" [15]وتمثل ثنائية الاسم والكلمة (الفعل) عند أرسطو جزأي الحكم، يهتم بهما من أجل الحكم فقط، والمعتبر فيهما هو التصديق والتكذيب؛ أي من حيث صحة الحكم وبطلانه[16]. إن تركيز أرسطو على جزأي الحكم في القضية يبرهن على التحليل المنطقي للغة؛ الذي يدرس ما يمكن الحكم على صدقه أو كذبه في العبارات الإخبارية دون غيرها.

4-1-2-أصل الأسماء ومبدأ التواطؤ: وزيادة على تحديد أرسطو لمدلولي الاسم والكلمة، فقد حدد أيضا في النص الأول موقفه من قضية أصل الأسماء واللغة، وذلك باختياره- خلافا لأستاذه أفلاطون-مذهب التواضع والاصطلاح في اللغة، من خلال ربطه الاسم بـ"**التواطؤ**"، وتكريره للفظة تواطؤ مرتين. ثم تأكيد موقفه في قوله: "وكل قول فدالٌ، لا على **طريق الآلة**، لكن كما قلنا على **طريق المواطأة**"[17]. بمعنى أن كل أقسام الكلام هي ألفاظ متواضعٌ عليها؛ أي تدل بتواطؤ بين القوم، وتلك هي طبيعة نشأة اللغات البشرية، كما خلصت إلى ذلك اللسانيات الحديثة.

لم يذكر أرسطو في كتاب العبارة، من أقسام الكلام، إلا الاسم والكلمة (بالإضافة إلى ذكره للقول ودلالته، لكنه لا يدخل ضمن أقسام الكلام)، والسبب في ذلك واضح؛ فهو يعالج اللغة في "الأرغانون" من الجانب المنطقي ولا يلتفت إلى هذين القسمين-وإلى الأقسام الأخرى-من الناحية اللغوية، إلا في كتابي الشعر والخطابة[18] والدليل على ذلك اقتصاره في هذا الكتاب على دراسة الأقوال الجازمة (الخبرية) التي تقبل الحكم عليها بالصدق أو الكذب بناء على مطابقتها أو عدم مطابقتها للواقع.

4-1-3-معيار الصدق والكذب وعلاقته بالخبر والإنشاء: الحكم المنطقي على العبارات أو القضايا لدى أرسطو يقوم على معيار صدق العبارات أو كذبها؛ فهي صادقة إذا كان لها واقع يطابقها وكاذبة إذا لم يكن لها واقع يطابقها. وهذا الحكم بالنسبة لأرسطو، ولكل الفلاسفة الذين تبنوا منطقه، لا ينطبق على كل العبارات أو الأقوال بل يصدق فقط على الأقوال الخبرية الجازمة ولا يصدق على الأقوال الإنشائية. يقول أرسطو بهذا الصدد: "وليس كل قولٍ بجازم، وإنما الجازم القول الذي وُجد فيه الصدق أو الكذب، وليس ذلك بموجود في الأقاويل كلها. ومثال ذلك الدعاء، فإنه قول ما، لكنه ليس بصادق ولا كاذب. فأما سائر الأقاويل غير ما له منها فنحن تاركوها، إذ كان النظر فيها أولى بالنظر في الخطب [الخطابة] أو الشعر. وأما القول الجازم فهو قصدنا في هذا النظر"[19].

يتبين من خلال ما تقدم، اقتصار كتاب العبارة على معالجة قضية فلسفية تمثل جوهر الفلسفة المنطقية للغة، وهي دراسة القضايا أو العبارات التي تعبر عن خبر أو محتوى قضوي يمكن الحكم عليه بالصدق أو الكذب

بمطابقته أو عدم مطابقته للواقع، ومن ثمة إمكانية توصل الفيلسوف إلى حقيقة الأشياء المنشودة، على اعتبار أن الأقوال الجازمة هي التي يمكنها التعبير عن الحقائق من خلال القضايا التي يمكن الحكم عليها منطقيا، أما الأقوال غير الجازمة فهي عبارات غير قضوية، ومن ثمة فهي أقوال خالية من المعنى، وبالتالي لا تعبر عن حقيقة معينة، وعلى هذا الاعتبار كانت خارجة عن اهتمام موضوع كتاب العبارة بالنسبة لأرسطو.

2-4- كتاب "فن الشعر" وتنوع مباحثه اللغوية: رغم قِدم هذا الكتاب إلا أنه يبقى، منذ اكتشافه، في العصور الحديثة وحتى الآن، يشغل بمعلوماته وأسراره أذهان الباحثين في مجال الفكر الأدبي، والدرامي والملحمي، والتراجيدي بصفة خاصة[20].

والذي يهمنا في هذا الكتاب هو الفصول الأربعة الخاصة بدراسة اللغة، التي تبدأ من الفصل التاسع عشر وتنتهي بالفصل الثاني والعشرين؛ حيث يستهلها أرسطو بتحليل اللغة انطلاقا من أدنى مستوى وهو الأصوات مرورا بالمقاطع والألفاظ الدالة وغير الدالة انتهاء إلى العبارات أو الجمل. وقبل هذا يضع أرسطو اللغة في المرتبة الرابعة بين مكونات التراجيديا الستة. ويُعرِّفها في هذا السياق بأنها "التعبير عن أفكار الشخصيات بواسطة الكلمات، وجوهرها هو نفسه في كل من الشعر والنثر"[21] وبهذا التعريف يكون أرسطو قد حصر اللغة في واحدة من وظائفها، وهي الوظيفة التمثيلية واقتصر على ذكر نوع واحد من التمثيل أو التصوير الذي تؤديه اللغة، وهو تصوير ما هو موجود في ذهن المتكلم من أفكار، وما يختلج في نفسه من مشاعر وعواطف في كل من الشعر والنثر على حد سواء.

4-2-1- أقسام اللغة أو الكلام: يُبرز أرسطو مكونات اللغة في قوله: "تتألف اللغة بوجه عام من الأجزاء التالية: الحرف الهجائي (أو العنصر الأساسي)، والمقطع وأداة الربط، وأداة الوصل، والاسم والفعل، والتعريف، والعبارة (الجملة)"[22]، حيث ينطلق في استنباط مكونات اللغة اليونانية من أصغر وحدة غير دالة وهي الصوت إلى أكبر وحدة لغوية دالة وهي الجملة، ثم يحدد أرسطو كل مكون من مكونات اللغة في أقواله التالية[23]:

"والحرف الهجائي هو صوت غير قابل للتجزيء...والحرف إما صائت، أو نصف صائت، أو صامت". ويسمى في اللسانيات الحديثة الفونيم أو أصغر وحدة صوتية، وهو آخر أو أصغر مستوى يمكن أن يصل إليه التحليل اللغوي (إذا استثنينا الصفات التمييزية للأصوات) لهذا قال أرسطو إنه غير قابل للتجزيء؛

"والمقطع، صوت خال من الدلالة والمعنى، ويتركب من حرف صامت، وآخر صائت، أو نصف صائت". ويتحدث أرسطو هنا عن أقل ما يمكن أن يتكون منه أصغر نوع من المقاطع، وهذا قياسا على اللغة اليونانية. أما الحرف نصف الصائت فهو مثل الواو والياء في اللغة العربية؛

"وأداة الربط عبارة عن صوت بلا دلالة أو معنى، وهذه الأداة لا يمكن أن تقوم صحيحة بذاتها في بداية عبارة أو جملة". وهي الحروف الروابط التي تربط الكلم بعضه ببعض لتشكل منه جملة أو خطابا مفهوما؛

"وأداة الوصل، صوت بلا دلالة يحدد بداية العبارة أو نهايتها، أو جزءا منها". ويستعمل ابن رشد في هذا القسم من اللغة، بدل عبارة "أداة الوصل" مصطلحا أكثر دقة ودلالة وهو "الفاصلة"، ويحددها بأنها "الحروف التي تفصل قولا عن قول، مثل إما المكسورة وإلا وحروف الاستثناء وبل ولكن وما أشبه ذلك...ونعني بها ها هنا صوتًا غير دال

بانفراده، الأصوات البسيطة التي تدل بالتركيب، أعني إذا ركبت مع غيرها، وهي الحروف، أعني حروف المعاني لا حروف المعجم"[24]؛

"والاسم صوت دال، مركب من أصوات. ولا يدل على الزمن، والجزء منه إذا انفصل لا يفيد معنى بذاته". بمعنى أن الاسم وحدة لغوية دالة بذاتها لا يحتاج لغيره في تحديد معناه، ولكنه إذا تجزأ يفقد معناه. وهو لا يدل على زمن، بخلاف الأفعال التي تدل على الزمن. ومن الأسماء رجل ونهر وعصفور...إلخ؛

والفعل صوت مركب له دلالة، ويدل على الزمن، وكما هو الحال في الاسم، فإن أي جزء منه لا معنى له في ذاته". ويفترق "يختلف" الفعل عن الاسم في كون الفعل يدل على زمن في حين أن الاسم خال من الزمن؛

"والتصريف يتعلق بالاسم كما يتعلق بالفعل، ويدل على: -(أ) العلاقة كما في "لِ" أو "إلى" ونحوهما. -(ب) أو على العدد، سواء أكان جمعا أم مفردا. -(ج) أم على طريقة أم نغمة النطق في الإلقاء، كالسؤال أو الأمر". ويشير أرسطو هنا إلى الوظائف النحوية والصرفية والبلاغية للغة؛

"والعبارة (أو الجملة) صوت مركب دال على معنى، وبعض أجزائه له معنى أو دلالة في ذاته". والجملة عند أرسطو هي أكبر وحدة لغوية يمكن أن يصل إليها التحليل اللغوي، وهي على خلاف الاسم والفعل اللذين لا يدل أحد أجزائهما على معنى ذلك الاسم أو الفعل، لأن الجملة يمكن تقسيمها إلى وحدات دالة لأنها مركبة من أسماء وأفعال (بالإضافة إلى روابط في بعض الجمل).

إذن، هذه أقسام اللغة اليونانية التي ورث أرسطو بعضها عن أسلافه من فلاسفة اليونان وبخاصة أفلاطون، ووضع بعضها انطلاقا من استقرائه المتميز للغة اليونانية. وفي هذا السياق يشير روبنز في كتابه "موجز تاريخ اللسانيات"، أثناء عرضه للفترة اليونانية، أن أرسطو أبقى على تقسيم شيخه أفلاطون للجملة اليونانية؛ التي قسمها إلى مكون اسمي ومكون فعلي. وأضاف إليها أرسطو نوعا ثالثا من المكونات النحوية، وهو النوع الذي أصبح يعرف فيما بعد بالروابط والأداة والضمائر (وهو النوع الذي يقابله الفارابي وابن رشد بما يعرف في النحو العربي بـ"حروف المعاني). وقد قصد أرسطو بهذا التحليل الثلاثي للجملة-كما يؤكد روبنز-تمييز مكونات العبارة الإخبارية، التي كان أرسطو أكثر اهتماما بها بوصفه فيلسوفا منطقيا[25]، وليس عالما لغويا. أي إنه سعى إلى تحليل مكونات الجملة انطلاقا من كونه منطقيا، ولهذا اهتم بالتحليل المنطقي للجمل الإخبارية على حساب الجمل الإنشائية. غير أن اهتمامه بالعبارات الإخبارية لم يمنعه من الالتفات إلى ما يتعلق بقضايا البلاغة، حيث ترك فيها بصمته التي أصبحت مفتاح الولوج إلى مناقشة مباحث تدخل اليوم في صميم البحث البلاغي الجديد وبخاصة العرفاني منه، ونذكر له على وجه التحديد مفهوم الاستعارة.

4-2-2- **التأسيس لنظرية الاستعارة:** يرى بعض الباحثين أن أول من تعرض لموضوع الاستعارة هو الفيلسوف أرسطو في كتابه "فن الشعر"؛ حيث حدد في بعض نصوصه مفاهيم شكلت فيما بعد نظرية الاستعارة. وقد ارتبطت جميع النظريات اللاحقة حول الاستعارة، وصولا إلى وقتنا الحاضر، بدرجات متفاوتة، بالتعريف الأرسطي[26]. فما هو تعريف أرسطو للاستعارة أو الاسم المجازي (كما ترجمه البعض)؟ يعرف أرسطو الاستعارة في قوله: "أما الاسم المجازي فهو إعطاء اسم يدل على شيء إلى شيء آخر، وذلك عن طريق التحويل؛ إما من جنس إلى نوع، أو من نوع إلى جنس، أو من نوع إلى نوع، أو عن طريق القياس"[27].

ثم ينتقل أرسطو إلى الفصل الثاني والعشرين، للحديث عن المظاهر البلاغية في اللغة الشعرية وأسلوبها؛ حيث يقول: "فإن اللغة تصبح متميزة وبعيدة عن الركاكة إذا ما استخدمت فيها الكلمات غير المشاعة مثل: الكلمات الغريبة (أو النادرة) والمجازية والمطولة، وكل ما ابتعد عن وسائل التعبير الشائعة. إلا أن اللغة التي تتألف كلية من مثل هذه الكلمات تكون إما مُلغّزة، وإما رطانة مبهمة. وأقصد باللغة الملغزة تلك التي تتألف من مجازات واستعارات...والواقع أن طبيعة اللغة الإلغازية تتمثل أساسا في التعبير عن حقيقة ما بكلمات موضوعة في تركيبات لغوية مستحيلة، وهذا لا يحدث في المسميات العادية للأشياء، ولكن باستعمال بدائلها المجازية"[28].

يتبين من هذا النص اهتمام أرسطو بالأساليب البلاغية واللغة المجازية التي لا يعتبرها حلية أو زخرفا لغويا يزين الكلام، بل ينظر إليها باعتبارها معبرة عن حقيقة معينة ببدائل مجازية للغة العادية. ويؤكد أرسطو على أن توصل المتكلم إلى التعبير باللغة المجازية يدل على عبقرية إدراكية لوجوه الشبه في الأشياء غير المتشابهة، ويتضح ذلك جليا في وصفه للاستعارة أو المجاز بأنه "الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يتعلمه المرء عن غيره، إنه آية العبقرية، لأن صياغة المجاز الجيد تدل على موهبة بصيرية قادرة على إدراك وجوه الشبه في أشياء غير متشابهة"[29].

وبفضل هذه النصوص وغيرها، وما حملت من مفاهيم بلاغية، وعن الاستعارة تحديدا، يكون أرسطو-حسب إيكو-قد تفوّق منذ البداية على منظري الاستعارة السهلة الذين كانوا يشكُّون في طبيعتها التجميلية، كما تفوّق على الكُتّاب الذين كانوا يريدون أن تكون الاستعارة مسلِّية ولاذعة فحسب، وتفوّق أخيرا على علماء الدلالة الحاليين الذين يرون في الزخرف اللفظي، بنية سطحية أكثر من السطحية ذاتها[30].

4-3- كتاب الخطابة:

4-3-1- مركزية أرسطو في التأسيس لنظرية البلاغة الجديدة أو الحجاجية: يعد أرسطو أول من ألف كتابا في موضوع فن الخطابة (البلاغة)، وكل ما يتعلق بالخطيب والجمهور، واستراتيجية التأثير في السامعين، والحجج التي ينبغي على الخطيب اللجوء إليها لإقناع جمهوره ومستمعيه. وقسّم كتابه (الخطابة) إلى ثلاث مقالات؛ خصص الأولى لمفهوم الخطابة وغاياتها وأنواعها وموضوعاتها، والثانية لكيفية التأثير في نفوس الآخرين، والثالثة للأسلوب وصفاته الجمالية والتأثيرية. ولما كانت أداة الخطيب هي اللغة، فقد كان على أرسطو أن يبحث فيما يتصل منها بأحداث التأثير وطريقة صياغة الحجج، فتحدث عن المجاز والاستعارة والتشبيه والجناس والتورية والأسلوب، باعتبارها آليات لغوية توظف للتأثير على الجمهور.

وقد سبق عصره بآرائه البلاغية الرائدة في مجال الحجاج والإقناع، باعتباره البلاغة فنا خطابيا بامتياز، إذ يستخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر، واقناعه ذهنيا ووجدانيا. ويبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية؛ فإما أن يتحقق عبر "اللوغوس" الذي يعني الكلام والحجج والأدلة العقلية والمنطقية، ويظهر ذلك جليا في نسق الرسالة التواصلية. وإما أن يتحقق عبر "الإيتوس" الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسِل، وإما أن يتجسد في "الباتوس" الذي يتعلق بالمخاطَب، ويكون في شكل أهواء وانفعالات ومشاعر[31].

إن ما قدمه أرسطو في كتاب "الخطابة" يعد مرجعا أساسيا في ظهور ما يعرف اليوم في الدراسات الحجاجية عند الغرب بـ"البلاغة الجديدة" أو "البلاغة الحجاجية" أو "الحجاج البلاغي عند الأرسطيين الجدد". وقد أحيت

هذه البلاغة، بخاصة القائمة منها على المنطق، معظم الجهاز المفاهيمي الذي وضعه أرسطو، كما اعتمدت على اجراءاته في التحليل البلاغي وبخاصة المتعلقة منها بالجانب الإقناعي.

5-خاتمة: وتأسيسا على ما تم عرضه في محاور هذه الدراسة، نخلص إلى تسجيل النتائج التالية:

- يرجع الفضل لأفلاطون وأرسطو في صياغة لغة واصفة أو شارحة metalanguage بجهازها المفاهيمي والمصطلحي، لوصف اللغة اليونانية وتحليلها.

- تعد محاورة كراتيليوس لأفلاطون أقدم عمل متخصص في فلسفة اللغة، يعتني بإشكالية أصل اللغة والأسماء.

- غرض أفلاطون الرئيس من كتابه كراتيليوس ليس التركيز على عرض المسائل اللغوية في حد ذاتها، وإنما التأكيد على نظريته في المعرفة. لذا فإن اهتمامه باللغة ورد في السياق العام لعرض فلسفته.

- لم يكن اهتمام أرسطو بالتحليل اللغوي بعيدا عن التحليل المنطقي، بل جاءت دراسته اللغوية خدمة للمنطق الذي يعد موضوعه الأساس في مؤلفاته.

- شق أرسطو سبلا جديدة لتأسيس تخصصات معرفية لم تكن معهودة قبله، كالمنطق الصوري، والخطابة أو البلاغة وما انبثق عنها أو استلهم منها، من معارف جديدة كنظرية الشعر والبلاغة الجديدة وغيرهما.

- اقتصار أرسطو على دراسة الخطاب الخبري الذي يقبل الحكم المنطقي التصديق أو التكذيب، في كتاب العبارة باعتباره ينتمي إلى مجموعة الأرغانون المنطقية.

- اهتمام أرسطو بدراسة الخطاب الإنشائي ضمن كتابيه الخطابة وفن الشعر.

6. قائمة المصادروالمراجع:

1. إيكو, أ. السيميائية وفلسفة اللغة. المنظمة العربية للترجمة. بيروت (2005).

2. أرسطو. فن الشعر. مكتبة الأنجلومصرية. مصر. ((د ت)).

3. أرسطو. الخطابة: دار الرشيد للنشر. العراق (1980)

4. أرسطو. العبارة. (ترجمة إسحاق بن حنين، المترجمون): دار القلم. بيروت (1980).

5. أفلاطون. محاورة كراتيليوس. وزارة الثقافة. عمان. (1995).

6. الحاج صالح، ع. ا. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج1موفم للنشر. الجزائر. (2007).

7. الحاج صالح، ع. ا. بحوث ودراسات في علوم اللسان. موفم للنشر. الجزائر. (2007).

8. الحاج صالح، ع. ا. منطق العرب في علوم اللسان. منشورات المجمع الجزائري للغة العربية. الجزائر. (2010).

9. حمداوي جميل. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. إفريقيا الشرق. المغرب. (2014).

10. ابن رشد. تلخيص كتاب الشعر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر (1986).
11. ابن رشد. تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة. دار الكتب. مصر. (1978).
12. روبنز-ر.هـ. موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب). (أ. عوض، Trad.) الكويت. (1997).
13. عزمي طه. فلسفة اللغة عند أفلاطون، عالم الكتب الحديث، إربد. (2015).
1. فروخ عمر. الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب. مكتبة ميمنة. بيروت. (1947).

2. قارة نبيهة. مدخل إلى فلسفة اللغة. الوسيطي للنشر. تونس. (2009)

7. الهوامش والإحالات:

1- روبنز-ر.هـ: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997. ص34.
2- حاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر 2007، ط1،ص 71.
3- أفلاطون: محاورة كراتيليوس، وزارة الثقافة، عمان-الأردن 1995، ط1.ص15.
4- عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون ومعه نص محاورة كراتيليوس (دراسة وترجمة)، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن. 2015، ص33.
5- مرجع نفسه ص34، وانظر قارة نبيهة: مدخل إلى فلسفة اللغة، الوسيطي للنشر، تونس، 2009. ص92.
6- حاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...مرجع مذكو سابقا ص71 و72.
7- عزمي طه: فلسفة اللغة عند أفلاطون...مرجع سابق ص37.
8- حاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان...ص 72 والهامش 36.
9- روبنز: موجز تاريخ علم اللغة...ص 41.
10- فروخ عمر: الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب، مكتبة ميمنة، بيروت-لبنان، 1947، ط1.ص 57.
11- روبنز: مرجع سابق ص35.
211- أرسطو طاليس: العبارة، ضمن (منطق أرسطو)، ترجمة إسحاق بن حنين، تحقيق عبد الرحمن بدوي، ط1، دار القلم، بيروت-لبنان 1980، ص100.
13- أرسطو: العبارة...مرجع سابق ص101.
14- حاج صالح عبد الرحمن: منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، 2010، ص49 وما بعدها.
15- ابن رشد. تلخيص كتاب الشعر. تحقيق تشارلس بتروورث وأحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر (1986)
16- الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية موفم للنشر، الجزائر، 2007. ج1، ص54 و55.
17- أرسطو: العبارة...مرجع سابق ص103.
18- الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان...ص 63.
19- أرسطو: العبارة...ص 103.
20- أرسطو: فن الشعر، ترجمة وتعليق إبراهيم حمادة، (د ت)، مكتبة الأنجلومصرية، مصر، ص4 (من مقدمة المترجم).

21- مرجع نفسه ص99.

22- مرجع نفسه ص180.

23- أرسطو: فن الشعر...الصفحات 180 و181 و182.

24- مرجع نفسه صنفسها.

25- روبنز: مرجع سابق ص51.

26- أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005، ط1. ص246.

27- أرسطو: فن الشعر...ص 186.

28- مرجع نفسه 189.

29- أرسطو: فن الشعر...ص 192.

30- إيكو: مرجع سابق ص266.

31- حمداوي جميل. من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. إفريقيا الشرق. المغرب (2014). ص26.